المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية | المجلد 7 / العـــدد :3 (2022)، ص 77- 92

سكان جزيرة جربة و أنشطتهم الحرفية

(1939-1918)

The inhabitants of the island of Djerba and their craft activities (1918-1939)

د. حسن النجار•
كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية (تونس)
Najjarhassen71@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/12/21 تاريخ القبول: 2022/12/26 تاريخ النشر: 2022/12/30

ملخص: لقد حاولنا في هذه الورقة البحثية الكشف عن أهم ملامح و خصوصيات سكان جزيرة جربة و أبرز الحرف التي نشطوا بها. و قد توصلنا إلى معرفة أن سكان جزيرة جربة تميزوا بالتنوع المذهبي و الديني و العرقي، و قد تميزوا أيضا بالتسامح و التعايش بين مختلف الأديان و المذاهب. و قد شهدت جزيرة جربة خلال الفترة المدروسة كثافة سكانية كبيرة مقارنة ببقية مناطق الجنوب التونسي و ذلك نظرا للحركية الإقتصادية التي كانت تشهدها الجزيرة.

و قد اقتصرنا في هذه الدراسة على أهم الحرف التي تميزت بها الجزيرة و المتمثلة خاصة في صناعتي النسيج و الفخار، حيث شهدت الجزيرة نموا كبيرا سواء على مستوى عدد المعامل أو كمية الإنتاج، مما أهلها لتكون في تلك الفترة قطبا صناعيا محليا و إقليميا. و مما مكنها أيضا من أن تصبح مصدرة لهذه البضائع التي تميزت بجودة عالية رغم الوسائل التقليدية المستعملة سواء في صناعة النسيج أو الفخار. إلا أن غزو البضائع الأوروبية و خاصة الأقمشة و الأغطية الأوروبية قلّص من عدد المعامل و من كمية الإنتاج في مجال صناعة النسيج.

كلمات مفتاحية: جزيرة جربة؛ السكان؛ التعايش؛ صناعة النسيج؛ صناعة الفخار؛ قطب صناعي.

Abstract: *Summary: In this article, we have tried to reveal the most important characteristics of the inhabitants of the island of Djerba, as well as the most important professions in which they were active. And we learned that the inhabitants of the island of Djerba were distinguished by sectarian, religious and ethnic diversity, and they were also distinguished by tolerance and coexistence between different religions and sects. During the period studied, the island of Djerba experienced a high population density compared to the rest of the regions of southern Tunisia, due to the economic mobility that the island experienced.*

In this study, we have limited ourselves to the most important crafts that characterized the island, in particular in the textile and pottery industries. This also allowed the island to become an exporter of these goods, which were distinguished by high quality, despite the traditional methods used, whether in the textile or pottery industry. However, the invasion of European products, especially European textiles and blankets, reduced the number of factories and the production volume of the textile industry.

Keywords*: Island of Djerba; Population; coexistence; Textile industry; pottery; industrial pole.*

• حسن النجار

مقدمة

1. المعطيات البشرية بجزيرة جربة

المقدمة

تقع جزيرة جربة في الجنوب الشرقي للبلاد التونسية، بين خطي عرض 37.37° و 37.68°، و خطي طول 9.30° و 9.70° شمال خط الإستواء. و تبلغ مساحتها 514 كم². و تُعتبر من أكبر الجزر التونسية حيث تمتد سواحلها على مسافة 125 كم.

لقد أردنا في هذا المقال البحث حول سكان جزيرة جربة و حرفهم فيالفترة المتراوحة بين 1918 و 1939، أو ما يطلق عليها المؤرخون بفترة ما بين الحربين.

رغم الصعوبة التي يتميز بها مبحث الجغرافية التاريخية المحلية، فإننا صممنا على المضي في هذا المشروع مستعينين بالمصادر و المراجع القليلة المتوفرة.

و قد وجدنا معطيات كافية سواء في الأرشيف الوطني أو في أرشيف بلدية جربة، و كذلك قد اعتمدنا على بعض المراجع و الكتب التي درست جغرافية جغرافية جزيرة جربة و خاصة كتابي صلاح الدين التلاتلي (Djerba et les djerbien) و كتاب (Les Djerbiens) لريني ستابلو René Stablot.

المصادر و المراجع كانت قليلة و شحيحة و لكنها كافية دراسة علمية حول سكان جزيرة جربة و حرفهم. و قد تميزت جزيرة جربة خلال الفترة المدروسة بحركية سكانية و اقتصادية كبيرا و ذلك نظرا للنشاط الإقتصادي الذي شهدته في تلك الفترة.

و قد اقتصرنا في هذه الدراسة على أبرز الحرف التي تميّز بها سكان الجزيرة، و المتمثلة في صناعتي النسيج و الفخار.

تعتبر صناعة الفخار من أقدم الصناعات التي وجدت في جزيرة جربة و ذلك لتوفر مادة الطين الصالحة لصناعة الأواني و الأوعية الفخارية. أما صناعة النسيج فتعتبر حديثة نسبيا رغم استعمالها لوسائل عتيقة. و لكن رغم الوسائل العتيقة فقد شهدت الجزيرة في تلك الفترة نموا اقتصاديا غير مسبوق. فما هي الخصائص العامة لسكان جزيرة جربة خلال فترة ما بين الحربين؟ و ما هي أسباب النهضة الإقتصادية التي شهدتها الجزيرة في مجالي صناعتي النسيج و الفخار؟

1. سكان جزيرة جربة

ما يميز جزيرة جربة عن بقية مناطق الجنوب التونسي هو ارتفاع معدل الكثافة السكانية التي بلغت 101 س/ كم²، بينما معدل كثافة مناطق الجنوب التونسي لا يمكن أن يتعدى 5 س/ كم² في نفس الفترة.

هذه المعدلات تدل على أهمية الجزيرة لكونها جالبة للسكان لما يتوفر فيها من فرص للعمل و من حركة اقتصادية. و قد كانت الجزيرة تشكل خليطا غير متجانس من السكان يتكون من المسلمين و اليهود و

الأوروبيين. فماهي خصائص و مميزات التركيبة السكانية في الجزيرة في فترة ما بين الحربين و كيف كان تطورها خلال الفترة المدروسة؟

للإجابة عن هذه الأسئلة لا بد من أن ننطلق من جدول تطور سكان جزيرة جربة بين 1921 و 1936 ، علما أن أول تعداد عام للسكان البلاد التونسية كان سنة 1921، و إن التصريح بالولادات و الوفايات بالنسبة للأجانب لم يكن إلا سنة 1919:

الجدول 1: تطور سكان جزيرة جربة بين 1921 و 1936

السنوات	مسلمون	يهود	أوروبيون	المجموع
1921	41188	3800	607	46595
1931	43841	4128	779	48748
1936	47115	4109	777	52001

المصدر: الجرابة و الحركة الإستقلالية التونسية (1934 – 1951) [1]

1.1 التركيبة السكانية

من خلال هذا الجدول 1 يتبيّن لنا أن التركيبة السكانية لجزيرة جربة تتكون من المسلمين و اليهود الجرابة، أما بقية السكان فهم أوروبيون، استقروا في جزيرة جربة كموظفين أو أصحاب أعمال حرة. و سوف ندرس انطلاقا من هذا الجدول كل فئة على حدة:

1.1.1المسلمون

نلاحظ من خلال الجدول1 أن الأهالي من المسلمين يمثلون أغلبية سكان الجزيرة. و قد وصلت نسبة الزيادة بين 1921 و 1936 إلى 12.57 % مما يدل على ارتفاع نسبة الولادات في الجزيرة، و يدل أيضا أن حركة النزوح للجزيرة كانت نشطة بحكم الدور الإقتصادي الذي كانت تلعبه، و الذي يمكّن من خلق العديد من مواطن الشغل لسكان الجنوب الشرقي خاصّة بفعل توفر العمل سواء في الحقول خاصّة أثناء مواسم جني الزيتون أو الحصاد أو في معامل الجزيرة، خاصة معامل النسيج المنتشرة في منطقة " تاوريت" بحومة السوق.

و ينقسم المسلمون إلى فئتين و هم الإباضيون نسبة إلى عبد الله بن أباض التميمي (و هو أحد زعماء الخوارج)، و الفئة الثانية و هم أصحاب المذهب المالكي أو ما يُطلق عليهم بالمالكية. و تتميز العلاقات بين الفئتين بالإنسجام و التعاون.

و لم تقع في الجزيرة منذ العصر الوسيط أي حوادث أو فتن بين المذهبين. و ذلك مرده إلى انشغال الجرابة بالعمل سواء في التجارة و الصناعة أو الفلاحة و الصيد البحري. و من طبيعة التجار هو عدم االإهتمام بهذا

النوع من الفتن لأنها تلهيهم عن تجارتهم و هي الأهم بالنسبة لهم. علما و أن أهالي جربة قد عرفوا بالتجارة رغم اهتمامهم الشديد بالنشاط الفلاحي و الحرفي. و هم يتوزعون في كامل مناطق الإيالة كتجار جملة أو تقسيط، بل إنهم يتواجدون إلى الآن بكثرة في الجزائر و خاصّة بمنطقة قسنطينة.

و قد بالغ ريني ستابلو R.Stablot في كتابه "Les djerbiens "[2] في تصنيف الجرابة على أساس مذهبي بالرغم من أنهم لا يعيرون أهمية كبيرة لهذا الإختلاف، و ذلك حسب ظننا مقصود. و هو ما يؤكد لنا رغبة المستعمر في التفرقة بين الأهالي على أساس مذهبي، و ذلك اعتمادا للقاعدة المعروفة التي دأب عليها المستعمر منذ حلوله بربوعنا و المتمثلة في " فرّق تسد"، علما و أن رني ستابلو قد شغل خطة مراقب مدني في جزيرة جربة أواخر الثلاثينات، و هو يعلم بكل تفاصيل حياة الجرابة و المشاكل التي يواجهونها. و إن نشره لهذا الكتاب يدل على تأثره الشديد بأهالي الجزيرة الذين لا ينقسمون إلى عروشات أو قبائل كبقية سكان البلاد التونسية، بل إنهم يحبون بأن ينعوا بالجرابة مهما اختلفت مذاهبهم الدينية، و حتى اليهود أصيلي الجزيرة يعتبرون أنفسهم جرابة أبا عن جد.

كان يوجد أيضا المذهب الحنفي في جزيرة جربة، بفعل استيطان العديد من العائلات التركية بعد الغزو العثماني لتونس، و نجد العديد من المساجد ذات المعمار التركي، مثل جامع الترك بحومة السوق و جامع الكاتب بالمحبوبين. و لكن هذا المذهب لم يعمر طويلا في الجزيرة، و لكن المساجد ذات المعمار التركي بقيت شاهدة على فترة تاريخية قد ولت و انقضت بحلول الإستعمار الفرنسي، و خاصة بعد سقوط الإمبراطورية العثمانية سنة 1922.

إذن فإن التقسيم على أساس مذهبي أو ديني هو من المحاولات الفاشلة التي لم يقدر المستعمر القيام بها رغم محاولاته إضعاف وحدة الجرابة.

و ينتشر الإباضيون في كامل الجزيرة و يتركزون خاصة في الجهة الغربية و الجنوبية من الجزيرة مثل قلالة و سدويكش و آجيم و بني ديس، كما نجدهم في منطقة صدغيان القريبة من شمال الجزيرة.

و قد حافظ الجرابة في منطقة قلالة و آجيم و سدويكش على هويتهم البربرية و هم يتكلمون "الشلحة" في ما بينهم، كما أنهم يتقنون العربية لكي يتواصلوا مع غيرهم من سكان الجزيرة. كما توجد علاقات نسب بين المالكية و الإباضية.

إذن، يتميز السكان المسلمين سواء كانوا عربا أو بربرا بالوحدة و الإنسجام رغم الإختلافات المذهبية فيما بينهم، كما يتميز الجرابة المسلمين بالنشاط و حبهم للعمل و خاصة التجارة، مما أدّى إلى حركية سكانية كبيرة و نزوح إلى جزيرة جربة لما يتوفر فيها من مواطن شغل سواء في الفلاحة و الصيد البحري أو في الصناعات الحرفية. و هو الذي يفسر ارتفاع عدد سكان الجزيرة الذي يصل إلى 50 ألف ساكن سنة 1936.

2.1.1 اليهود

يعتبر اليهود في جربة من الأهالي القدماء، و هم متواجدون في الجزيرة من قبل ميلاد المسيح، و متعايشون مع البربر السكان الأصليون لمنطقة شمال إفريقيا. و قد استقر اليهود القدماء في الحارة الصغيرة أين توجد بيعتهم " الغريبة"، أما اليهود الذين أطردوا من الأندلس فقد استقروا في الحارة الكبيرة قرب حومة السوق[3]. و هم يمثلون 7.9% من سكان الجزيرة سنة 1936، علما و أن نسبة الجالية اليهودية في البلاد ككل في تلك الفترة لا تمثل سوى 2.31 % من مجموع سكان البلاد. و ذلك يدل على أهميتهم كأقلية في جزيرة جربة مقارنة بالفئات الأخرى من الأوروبيين. و قد تطوّر عددهم من سنة 1921 إلى سنة 1936 بنسبة 8.13% ، و هو تطوّر هام نسبيا. و قد مارسوا عدة مهن مثل النسيج و الصياغة و التجارة.

و قد وقعت بعض المشاكل بين السكان المسلمين و السكان اليهود نظرا لتعاملهم بالربا الفاحش، و أبرز مثال على ذلك قضية اليهودي خموس قابلة مع اهالي جربة و جرجيس، علما و أن اليهود الجرابة يحرّمون الربا فيما بينهم و يحلونه مع غير اليهود.

لقد اتصفت العلاقة بين المسلمين و اليهود بالتعايش السلمي رغم بعض المشاكل و القلاقل التي تحدث في بعض الحالات النادرة. و قد وجدت وثيقة في الأرشيف الوطني التونسي تتحدث عن حادثة قتل إثر صراع بين المسلمين و اليهود بمناسبة حج الغريبة الذي يقام سنويا في الحارة الصغيرة بجربة و ذلك بسبب تمييز اليهود عن المسلمين فيما يخص معلوم الدخول للحفل، مما أسفر عن حادث اطلاق نار أصيبت به زوجة شيخ اليهود[4].

إذن، فإن فئة اليهود في جزيرة جربة يعتبرون من الجرابة القدماء، و قد نسجت عدة أساطير حول قدومهم إلى الجزيرة و تأسيس بيعتهم " الغريبة". و كانت العلاقات بين المسلمين و اليهود توصف بالتعايش، كما اختصوا بعدة مهن مثل الصياغة و التسيج.

3.1.1 الأوروبيون

و هم يمثلون خليطا من أربع جنسيات: الفرنسيون، الإيطاليون، المالطيون، اليونانيون. و قد تتخصص هذه الفئات في نشاط اقتصادي معين، فمثلا كان المالطيون متخصصون في سياقة عربات الخيل إضافة إلى نشاطهم البحري، أما اليونانييون فقد تخصصوا في صيد و تجارة الإسفنج.

و قد كان المالطيون يشكلون أكثرية سكان الجزيرة الأوروبيين و ذلك قبل صدور قانون التجنيس في 20 ديسمبر 1923 و الذي أدى إلى تهافت الأوروبيين على الجنسية الفرنسية. هذا القانون قد أدى أيضا إلى تجنّس اليهود و ذلك حتى لا يخضعوا للمحاكم الإسلامية.

و يحصل المتجنسون على العديد من الإمتيازات التي يتمتع بها الفرنسيون، و لذلك فقد رفضه الحزب الحر الدستوري التونسي رفضا قاطعا، و المتجنسون التونسيون يعتبرون من المغضوب عليهم و لا يدفنون عند موتهم في المقابر الإسلامية.

يبين الجدول التالي عدد الأوروبيين بمختلف جنسياتهم بجزيرة جربة،و ذلك وفقا لإحصاء سنة 1936:

الجدول2: الجالية الأوروبية بجزيرة جربة سنة 1936

الجنسية	العدد
فرنسيون	516
إطاليون	58
مالطيون	193
يونانيون	10
العدد الجملي	777

المصدر: المصدر: صلاح الدين التلاتلي(Djerba et les djerbiens)[5]

لا يمثل الأوروبيون سنة 1936 سوى 1.49% من سكان الجزيرة. و هذه النسبة تعتبر ضعيفة مقارنة بنسبة اليهود أو مقارنة بعدد الأوروبيين في المدن الكبرى للبلاد التونسية. هذا العدد القليل للأوروبيين في الجزيرة ربما يعود لعدم تعرضها للإستعمار الزراعي كبقية مناطق الشمال و الوسط التونسي و أيضا لعدم توفر خامات باطنية بها كما هو الشأن بالنسبة للجنوب الغربي التونسي.

و لقد استقرت هذه الجاليات في جربة منذ بدايات القرن التاسع عشر، و قد أشار إلى ذلك بعض الرحالة مثل المبشر إفالد[6]؛ أي أنها كانت موجودة قبل حلول الإستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية سنة 1881، مما يدل على الإشعاع الإقتصادي الذي كانت تشهده جزيرة جربة منذ قرون.

كانت جزيرة جربة إذن تشكل خلال الفترة المدروسة قطبا اقتصاديا بأتم معنى الكلمة و ذلك لتعدد الأنشطة الإقتصادية بها، و لذلك كان عدد السكان كبيرا مقارنة بمناطق الجنوب الأخرى. كما أنها كانت نموذجا للتعايش بين مختلف الديانات و المذاهب، فتعددت بها المساجد الإباضية و المالكية. كما نجد بها الكنائس و البيعات.

و إن موقعها الجغرافي كجزيرة في الجنوب الشرقي التونسي قد سهّل الحركية الإقتصادية و السكانية لهذه المنطقة التي لم تكن خاضعة للحكم العسكي كبقية أراضي الجنوب التونسي، و كان يديرها مراقبا مدنيا فرنسيا، و كانت بها بلدية نشطة تأسست منذ سنة 1885. و كذلك كانت جزيرة جربة تحت نفوذ قائد تونسي له نفوذ على الجرابة و يعودون إليه لحل المشاكل التي تحدث بين الأهالي.

و قد تعددت بها الأنشطة الحرفية، فكانت جربة تصدر بضائعا إلى الخارج كمنتوجات النسيج و الفخار. و هو ما يقودنا للحديث عن الصناعات الحرفية في جزيرة جربة.

2. الصناعات الحرفية

لقد تعددت و تنوعت الصناعات الحرفية بجربة، و لكن في هذا المحور سوف نهتم بالخصوص بالصناعات التي لها تأثير على الحركية الإقتصادية و التجارية للجزيرة و منها صناعتي النسيج و الفخار، رغم أن المستعمر قد فرض تضييقات على تصدير البضاعة الجربية، فمثلا قد فرضت السلط الإستعمارية آداء قارا على البضائع المصدرة إلى طرابلس بلغ 14 فرنك على كل كلغ من الأنسجة الجربية، و لم يتبقى للمنتوجات الجربية من خيار إلا السوق الجزائرية[7]، مما تسبب في ازدياد عدد العاطلين عن العمل في هذا القطاع (1000 عاطل عن العمل سنة 1936)[8].

رغم محاولات المستعمر المتواصلة للحد من غزو البضائع الجربية للسوق التونسية أو الخارجية و ذلك خاصة عبر إغراق السوق التونسية بالمنتوجات الفرنسية و الأوروبية، فإن المنتوج الجربي قد ظلّ محافظا على جودته و كان مطلوبا في الداخل و الخارج.

2.1 صناعة النسيج

عُرفت جزيرة جربة منذ قرون بصناعة النسيج، و قد كانت هذه الحرفة منتشرة في كامل ربوع الجزيرة، لأن أغلب معامل النسيج نجدها بالمنزل. وقد كان المعمل من العناصر الأساسية للعمارة الجربية الأصيلة (أنظر الملاحق).

قال صلاح الدين التلاتلي: " *كانت جربة حتى نهاية القرن الماضي (أي القرن التاسع عشر) أكبر مركز لصناعة الأقمشة الصوفية بالنسبة لشمال المنطقة البربرية و لجزء من وسط إفريقيا*[9]." و هو ما يدل على الإشعلع الإقتصادي و الإزدهار الحرفي الذي كانت تشهده الجزيرة.

و هذه القولة تؤكدها الأرقام، ففي سنة 1873 كانت جزيرة جربة تحتوي على 428 معمل نسيج تتوزع على كامل الجزيرة و خاصة في منطقة تاوريت، و كانت تشغل 2524 عاملا.

هذا العدد الكبير من المعامل لم يكن في صالح نظام الحماية الذي يسعى لترويج منتوجاته الصناعية الفرنسية على حساب المنتوجات التقليدية الأهلية. و قد نجح المستعمر في مسعاه، ففي سنة 1907 تقلص عدد المعامل في جربة إلى 254 معمل نسيج. كما أن عدد العمال لم يعد يتجاوز 700 عامل. و ذلك نتيجة المنافسة الشرسة للمنتوجا الفرنسية و الأوروبية[10].

إذن، فقد كانت جزيرة جربة عبارة عن قطب صناعي في قطاع النسيج خلال القرن التاسع عشر و كذلك النصف الأول من القرن العشرين، و ذلك ما يفسر العدد السكاني الكبير الذي شهدته الجزيرة مقارنة بمناطق الجنوب الأخرى القاحلة و التي سخرها المستعمر كمنطقة عسكرية تسيطر عليها قوات الإحتلال الفرنسي. هذا النشاط الصناعي بالجزيرة كان عاملا مهما لجلب اليد العاملة و ساهم لقرون في تنشيط الحركية الإقتصادية

للجزيرة، رغم أن صناعة النسيج كانت تقليدية و لا تعتتمد على التقنيات الحديثة للنسيج التي تطورت في أوروبا خلال القرن التاسع عشر في أوروبا على إثر الثورة الصناعية الثانية.

و ما يميز هذه الصناعة عن غيرها من المنتوجات الأوروبية هو جودة المنتوج و أصالته إضافة إلى قيمته الجمالية. و لذلك فقد كان مطلوبا في الداخل و الخارج رغم غزو البضائع الأوروبية التي نجحت في تقليص عدد المعامل بالجزيرة.

و تنتشر معامل النسيج في كامل الجزيرة، و هي توفر أكثر من 2000 موطن شغل[11]. و يمكن القول بأن أغلب المنازل الفلاحية الجربية كان بها معمل نسيج، فالفلاح الجربي يصبح نساجا في أوقات فراغه من العمل الفلاحي أو من الصيد.

في مواسم الجفاف لا يبقى الجربي مكتوف الأيدي منتظرا الأمطار، فهو يتحول إلى نساج. و هو ما يفسر الكميات الهامة من الصوف المورد كمادة أولية، و هو ما يفسر أيضا عمليات التصدير المتواصلة للأغطية الصوفية.

كما تتجمع المعامل في مناطق صناعية صغيرة مثل منطقة تاوريت في حومة السوق، حيث نجد عشرات المعامل.

و تساهم النسوة مساهمة فعالة في هذه الصناعة و ذلك من خلال عمليات غزل الصوف، ثم يقمن ببيعه إلى هذه المعامل، فالمرأة الجربية كانت مساهمة في في اقتصاد الأسرة سواء من خلال العمل في الفلاحة أو من خلال المساهمة في النشاط الصناعي.

بالنسبة لكميات الإنتاج، فالجرابة يوفرون ما يحتاجونه من أقمشة و ألبسة، علما و أن اللباس التقليدي الجربي متميز عن بقية الألبسة التقليدية الأخرى. كما كان الجرابة يصدرون بقية الإنتاج من الأغطية الصوفية إلى عدة دول عربية و إفريقية.

و نعرض في ما يلي بعض كميات الإنتاج المصدرة من سنة 1932 إلى سنة 1936:

الجدول3: تصدير الأغطية الصوفية من سنة 1932 إلى سنة 1936

السنوات	1932	1933	1934	1935	1936
الكمية المصدرة بالقنطار	226	338	365	260	151
القيمة بالفرنك	904000	1014000	910000	650000	378000

المصدر: صلاح الدين التلاتلي(Djerba et les djerbiens)[12]

يتضح لنا من خلال هذا الجدول الكميات الكبيرة المصدرة من الأغطية الصوفية و خاصة سنتي 1933 و 1934. كما نلاحظ أن المواسم الغير ممطرة تؤثر على انتاج الأغطية و ذلك نظرا لانخفاض عدد الأغنام. كما أن هذه الأغطية تصنع أيضا من وبر الجمال الذي يصل عددها إلى 2500 في تلك الفترة.

أما بالنسبة للمداخيل المالية، فهي محترمة بالنسبة لصناعة تقليدية في جزيرة صغيرة و ذلك نظرا لكثرة عدد المعامل في تلك الفترة.

لا يمكن أن نغفل أيضا عن صناعة الزربية التي تختص بها النسوة، و قد ذكر " ستابلو" في كتابه المذكور بأن قرابة خمسين إمرأة تشتغل بالزربية في تاوريت التي كانت مركزا مهما لصناعة النسيج بمختلف أنواعه. علما و أن صناعة الزربية تمارس في المنازل، فأغلب الفتيات الجربيات لم يسعفهن الحظ خلال الفترة الإستعمارية بمزاولة الدراسة في المدارس، فيتعلمن صناعة الزربية و يساهمن بدورهن في اقتصاد العائلة، عبر انتاج زرابي ذات قيمة جمالية و مادية.

نلاحظ إذن أن صناعة النسيج كانت خلال فترة ما بين الحربين من الصناعات الحرفية الأساسية التي عرفت بها جزيرة جربة. و قد ساهمت هذه الصناعة في اشعاع الجزيرة محليا و إقليميا من خلال انتاج صناعة صوفية ذات جودة عالية و مطلوبة في الأسواق العالمية. مما جعل الجزيرة تشهد بفضل هذه الصناعة حركية اقتصادية و سكانية كبيرة، إلا أن غزو البضائع التي تنتجها البضائع الأوروبية الحديثة قلص من عدد المعامل في الجزيرة و ساهم في تدني الإنتاج رغم أن المنتوج الجربي بقي مطلوبا في الخارج نظرا لجودته العالية.

الصناعة الحرفية في جزيرة جربة لم تقتصر على صناعة النسيج، فالفخار كان من الصناعات التقليدية القديمة و التي تميزت بها الجزيرة نظرا لوجود مادة التين الطبيعية في تربتها بجهة قلالة.

2.2 صناعة الفخار

لقد عرفت جربة منذ أقدم العصور صناعة الفخار و ذلك بمنطقة قلالة؛ أي في الجهة الغربية للجزيرة التي تتوفر فيها مادة الطين الطبيعية، مما ساعد على تطور هذه الصناعة عبر التاريخ الطويل للجزيرة.

أما في الفترة الإستعمارية، فقد كانت جربة من أبرز مصدري الفخار، خاصة عبر البحر نظرا لكثرة المنتوج و لكبر حجم الأوعية الفخارية مثل " السفاري" التي تعد لخزن و تصدير الزيت.

كان يوجد بالجزيرة 151 معمل فخار سنة 1906[13] و في آخر الثلاثينات فقد ذكر ريني ستابلو في كتابه أن عدد المعامل قد تجاوز 250 معمل[14]. مما يدل على أهمية هذه الصناعة العتيقة و الضاربة في الزمن.

لمساعدة أرباب الفخار، تكونت منذ سنة 1914 الشركة التعاونية الأهلية الخاصة بفخار جربة، و هي تنضوي تحت الجمعية الأهلية الإحتياطية للسلفات و الإعانات الفلاحية التي يرأسها كاهية جربة.

مهمة هذه الجمعية هو إسناد قروض لا تتجاوز 300 فرنك لصالح أرباب العمل (وقع تنقيح الفصل الخامس

من القانون الأساسي للجمعية في 08/11/ 1922[15]). و تساهم هذه الجمعية التعاونية في الإنطلاقة السليمة لموسم صناعة الفخار الذي يبدأ في فصل الربيع.

و من خلال العودة إلى التقارير الإقتصادية التي بعث بها المراقب المدني للمقيم العام سنة 1936، نلاحظ أن في فصل الشتاء يتوقف إنتاج و تصدير الفخار. و يبلغ أوج الإنتاج في فصل الربيع و خاصة في شهر أفريل حيث بلغت الكميات المصدرة 359000 كلغ من الفخار[16].

لكي نفهم أكثر أهمية هذه الصناعة، سنعرض مخططا مستوحى من كتاب صلاح الدين التلاتلي يشير إلى تطور تصدير الفخار من سنة 1932 إلى سنة 1936:

رسم بياني1: كمية الفخار المصدرة بجزيرة جربة بين سنتي 1932 و 1936

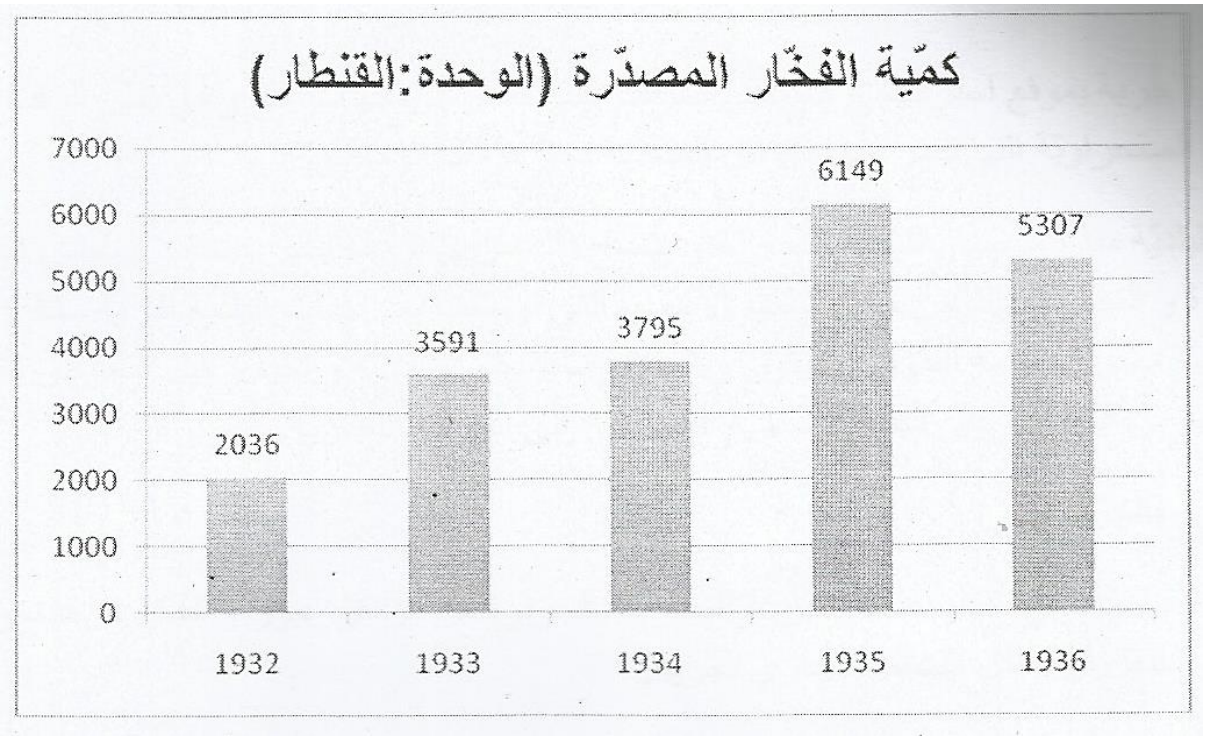

المصدر: المصدر: صلاح الدين التلاتلي(Djerba et les djerbiens)[17]

من خلال هذا الرسم البياني نلاحظ أن النمو السريع الذي شهده إنتاج و تصدير الفخار من سنة 1932 إلى حدود سنة 1935. و قد وصلت الكميات المصدرة من الفخار إلى 6149 ق سنة 1935، بينما بلغت 2036 ق سنة 1932 و ذلك يدل على عدم استقرار الإنتاج.

لم تتح لنا المصادر معرفة الكميات المنتجة أو المصدرة من المنتوجات الحرفية خلال كامل الفترة المدروسة و لكننا اكتفينا ببعض المعطيات المسجلة في الثلاثينات. و هي تعبر عن الدور الإقتصادي الكبير الذي تلعبه الصناعة الحرفية بالجزيرة و خاصة صناعتي الفخار و النسيج.

و نجد بعض الصناعات الحرفية الأخرى التي اشتهرت بها بعض المناطق المحلية مثل الصناعة السعفية في منطقة صدغيان و صناعة الحصير في مليتة.

الجربي لا يكتفي في أغلب الحالات بنشاط واحد، فهو يراوح بين النشاط الفلاحي أو البحري و النشاط الحرفي، و ذلك ناتج أولا عن حاجته للعمل لكي يعول أسرته، خاصة و أن المواسم الفلاحية متذبذبة و غير مستقرة. و ناتج أيضا لطبيعة الجربي الذي يحب العمل و ينفر من الكسل.

من خلال دراستنا لسكان جزيرة جربة و حرفهم في فترة ما بين الحربين يمكن لنا أن نخرج بالإستنتاجات التالية:

- ✓ شهدت جزيرة جربة خلال الفترة المدروسة كثافة سكانية كبيرة ناتجة أساسا لتنوع أنشطتها الإقتصادية من فلاحة و صناعات تقليدية و تجارة.
- ✓ رغم الإختلافات الدينية و المذهبية بين سكان الجزيرة، فإنها عرفت بالتسامح الديني و المذهبي و التعايش بين مختلف شرائح المجتمع.
- ✓ صناعة النسيج كانت توفر للأهالي موارد مالية هامة و ذلك نظرا للطلب الداخلي و الخارجي على هذا المنتوج التقليدي الذي تميز بالجودة.
- ✓ ساهمت البضائع الأوروبية في تدهور انتاج صناعة النسيج، و لكن رغم ذلك فقد بقي محافظا على جودته و مطلوبا في الخارج بالخصوص.
- ✓ عرفت جزيرة جربة منذ القدم صناعة الفخار و ذلك لتوفر مادة الطين الطبيعي، و قد ساهمت هذه الصناعة في الإكتفاء الذاتي لأهالي الجزيرة من الأواني و الأوعية الفخارية، التي كانوا يستعملونها أيضا في تصدير زيت الزيتون الذي تميّزت به الفلاحة الجربية.
- ✓ تميز أهالي جزيرة جربة بالنشاط و حب العمل، مما ساهم في إشعاع الجزيرة كقطب صناعي و تجاري في تلك الفترة داخليا و خارجيا.

الخاتمة

رغم شح المصادر، فقد تمكنا من خلال هذه الورقة البحثية من تعرف الملامح العامة لسكان جزيرة جربة و حرفهم خلال فترة ما بين الحربين. و قد استطعنا من استنتاج أن جزيرة جربة قد شهدت حركية سكانية و اقتصادية كبيرة خلال هذه الفترة المدروسة.

و تعتبر هذه الورقة تكملة لورقة سابقة بصدد النشر خصصناها للفلاحة و الصيد البحري. مما يجعلنا نفكر في مشروع أكبر يتمثل في دراسة تطور الإقتصاد الجربي خلال الفترة الإستعمارية بأكملها حتى تتضح لنا الصورة أكثر حول الإشعاع الإقتصادي لهذه الجزيرة الصغيرة الواقعة جنوب شرقي البلاد التونسية.

الملاحق

ملحق1: منزل جربي قديم

ملحق 2: معمل نسيج عتيق بجربة

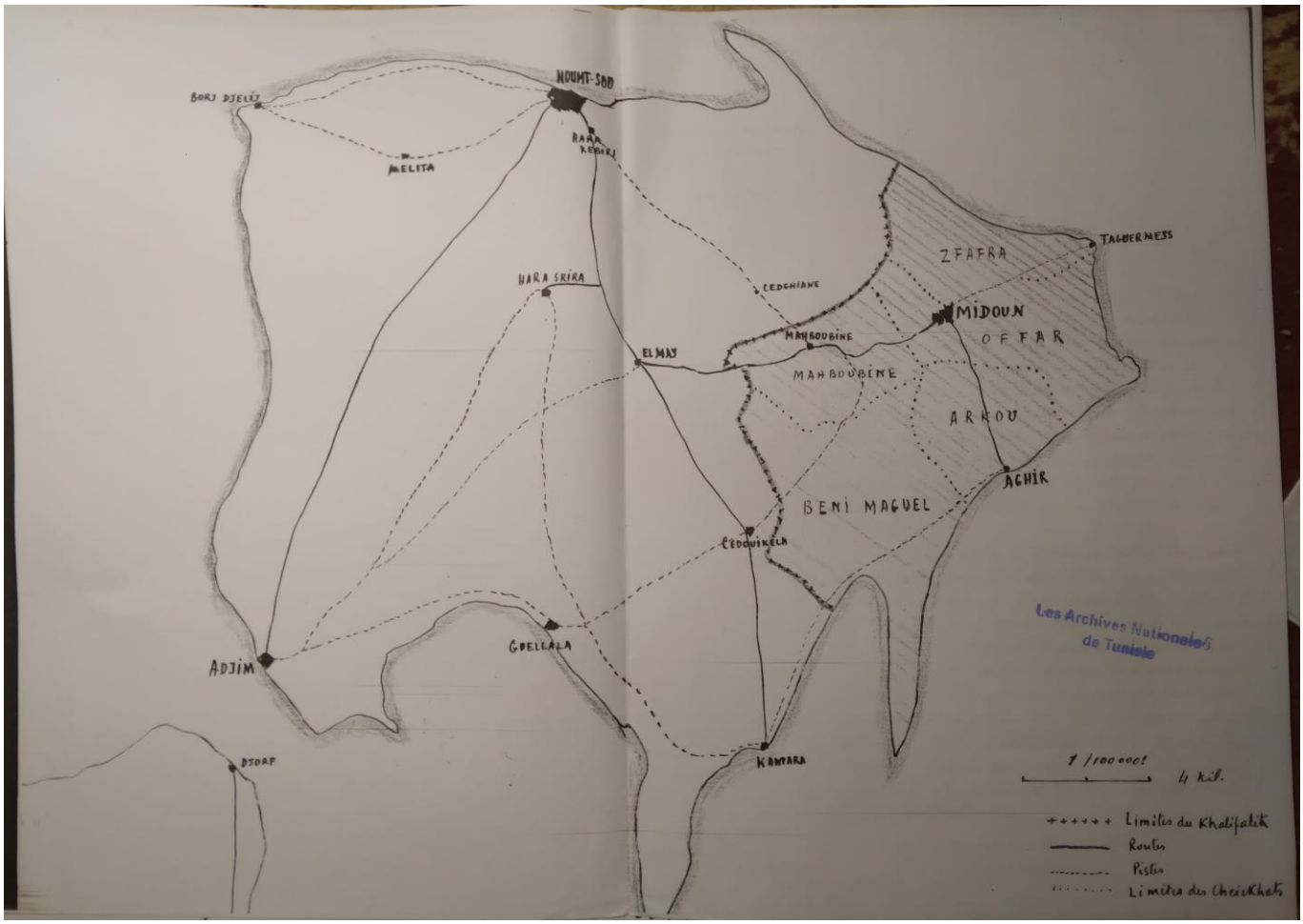

ملحق3 : شيخات(عمادات) جربة سنة 1929[18]

الهوامش

[1] حمداني (رؤوف)، الجرابة و الحركة الإستقلالية التونسية (1934 – 1951)، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية، ص. 22.

[2] Stablot(René), Les Djerbiens, édition sapi, 1941, P 65.

[3] يقول محمد الوريمي في دراسته حول الأقليات في البلاد التونسية:" **أفادت الرواية بأن اليهود كانوا يعيشون في شكل ثنائية تتمثل في مجموعتين: الحارة الصغيرة والحارة الكبيرة. واختارت الدفعة الثانية من المهاجرين اليهود إلى الجزيرة، في أول لقاء مع "يهود جربة"، عدم الاندماج مع نظرائهم الأصليين، واختارت التميز منهم .واختار كلّ مجالَه الترابي ومكانَ إقامته في المحيط الذي يرضاه. في النتيجة، أُنتجت رواية الأصل لدى يهود الحارة الصغيرة في إطار إقامة مقابلة مع رواية الأصل للدفعة الثانية من اليهود الذين طردتهم إسبانيا، وكان عددهم كبيرًا، واستقروا في الحارة الكبيرة المجاورة للسوق الكبيرة في مكان كان أكثر اتّساعًا. ركّز يهود الحارة الصغيرة وجودهم في الجزيرة، مع قلّة عددهم، على عامل المقدّس الذي علّم الاختلاف بينهم وبين يهود الحارة الكبيرة. وأنتجوا للغرض "الغريبة" التي تذكر الرواية أنها "فتاة قَدِمَت من البحر، حاملة على صدرها لفائف التوراة". ولا يُعرف هل كانت يهودية أم غير يهودية. وتصف رواية سالم بن يعقوب "الغريبة" بصفتها معبدًا، ونحن نزعم أن الإخباري كان يجمع على خطأ بين "الغريبة" في الزمن الراهن الذي كان فيه شاهد عيان، و"الغريبة" التي مثلت مجرد عنصر من عناصر رواية الأصل. ومهما يكن من أمر، جعل اليهود من "الغريبة" الأداة التي تنظم المجموعة اليهودية في الحارة الصغيرة، وأعطت أفرادها هوية إضافية، ومثّلت العقدة التي نشأت حولها كل الروايات التي شملت جوانب عدة من الحياة المعيشية للمجموعة".** أنظر: الوريمي (محمد)، المصادر التاريخية واستعمالاتها في علاقة الأقليات بالغيرية في الباد التونسية، مجلة أسطور، العدد 11، كانون الثاني 2020، ص.7

[4] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة أ، الصندوق 134، الملف 1/2، الوثيقة 172.

[5] Tlatli (S.E), Djerba et les djerbiens, imprimerie J.Aloccio, Tunis, 1942, P184.

[6] زار المبشر إفالد جزيرة جربة سنة 1885.

[7] La dépêche tunisiènne, 31 /08/1936.

[8] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة ج، الصندوق 226، الملف 20/10، الوثيقة 37.

[9] Tlatli (S.E), Djerba et les djerbiens, imprimerie J.Aloccio, Tunis, 1942, P175..

[10] Tlatli (S.E), Djerba et les djerbiens, imprimerie J.Aloccio, Tunis, 1942, P175..

[11] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة ج، الصندوق 226، الملف 20/10، الوثيقة 37.

[12] Tlatli (S.E), Djerba et les djerbiens, imprimerie J.Aloccio, Tunis, 1942, P182..

[13] Tlatli (S.E), Djerba et les djerbiens, imprimerie J.Aloccio, Tunis, 1942, P178..

[14] Stablot(René), Les Djerbiens, édition sapi, 1941, p.

[15] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة ج، الصندوق 509، الملف 95.

[16] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة ج، الصندوق 226، الملف 10.20.

[17] Tlatli (S.E), Djerba et les djerbiens, imprimerie J.Aloccio, Tunis, 1942, P178..

[18] [18] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة أ ص، الصندوق 133، الملف 1/4

قائمة المصادر و المراجع

أولا: العربية

- الأرشيف الوطني التونسي، السلاسل: أ،ج،أص.
- حمداني (رؤوف)، الجرابة و الحركة الإستقلالية التونسية (1934 – 1951)، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية، ص. 22.
- الوريمي (محمد)، المصادر التاريخية واستعمالاتها في علاقة الأقليات بالغيرية في الباد التونسية، مجلة أسطور، العدد 11، كانون الثاني 2020، ص.7

ثانيا: الفرنسية

- La dépêche tunisiènne, 31 /08/1936.
- Stablot(René), Les Djerbiens, édition sapi, 1941.
- Tlatli (S.E), Djerba et les djerbiens, imprimerie J.Aloccio, Tunis.